ملامح المدرسة الشعرية الأندلسية

أد. خاد شكر محمود

كلية الآداب-جامعة سامراء-العراق

م, غسان حميد ابراهيم

كلية الآداب-جامعة سامراء-العراق

Khaldshk5@gmil.com

ملامح المدرسة الشعرية الأندلسية

أد. خاد شكر محمود[1] **م, غسان حميد ابراهيم**

[1]خالد شكر محمود صالح الفراجي- حاصل على شهادة الدكتوراه/ كلية الآداب/2010، الجامعة العراقية – تمت ترقيته الى مرتبة الاستاذية في 29/ 7/ 2020، وله بحوث منشورة في مجلات علمية محكّمة، منها:

1. الاقتباس والتضمين في شعر العباس بن مرداس السلمي.
2. التشكيل الدلالي والصوتي في شعر ابن هانيء الاندلسي- مضامين شعر النكبات في الاندلس
3. التشخيص في القرآن الكريم واثره في تعميق الصورة - الصورة البيانية في شعر الابله البغدادي

كلية الآداب-جامعة سامراء-العراق كلية الآداب-جامعة سامراء-العراق

Features of the Andalusian schoolof poetry

DR.Khalid shukur Mahmood
College of Arts, Samarra University, Iraq
Khaldshk5@gmil.com

Research focus: literary and critical studies
محور المشاركة/ الدراسات الادبية النقدية والبلاغية والحجاج

الملخص

تناول البحث تحديد ملامح المدرسة الشعرية الاندلسية باعتبارها اتجاها ظهر في الشعر العربي في الاندلس بعد أن كانت تابعة ومقلدة للمنهج الذي سار عليه المشارقة، الا انها بعد مرحلة الاستقرار النسبي للوجود العربي والاسلامي اتخذت مسارات جديدة في الاخيلة والصور والتراكيب وكذلك الصياغة الشعرية وفيما بعد ظهور فن الموشح والزجل كل ذلك كان مدعاة للأبداع عند الشاعر الاندلسي الذي تأثر بالبيئة الأندلسية كثيرا وفجرت فيه كوامن الابداع الشعري عند مجموعة من الشعراء ، وكان ظهور المنهج قد تبلور عند ابن خفاجة الذي وضع قواعد هذه النهج وتبعه ابن الزقاق وبعد ذلك جاء الرصافي البلنسي، اذ انتظموا بصورة شعورية أو غير شعورية بنمط شعري متشابه الى جد ما، وكونوا نهجا شعريا يمكن أن نطلق عليه ما يسمى لفظ المدرسة الشعرية الاندلسية ، والتي بقيت ترفد التراث الشعري الى نهاية الوجود العربي في الاندلس، اذ لم تتوقف المدرسة على هؤلاء الشعراء انما إمتدت لتشمل مجموعة من الشعراء سلكوا النهج نفسه لتبقى تلك المدرسة ترفد الشعر الأندلسي بمعين لا ينضب من التجديد ومحاولة الاستقلال بالهوية الأندلسية.

Abstract

Features of the Andalusian school of poetry Summary

Mr. Dr. Khad Shukr Majmood
college of Literature Samarra University
College of Arts, Samarra University, Iraq
Khaldshk5@gmil.com

Research focus: literary and critical studies

The research dealt with defining the features of the Andalusian poetic school as a trend that appeared in Arabic poetry in Andalusia after it was a

4. اسلوب القلب في القرآن الكريم في مخلفته لمقتضى الظاهر - ثنائية الدلالة في المصطلح البلاغي وله مشاركات في المؤتمرات والندوات، منها :المؤتمر العلمي الدولي – جامعة الموصل ؟2012 ، مشارك- المؤتمر العلمي –كلية الآداب – جامعة الموصل :2011، - مؤتمر انقرة للعلوم الاجتماعية – تركيا 2022.

follower and imitator of the approach followed by the Musharraqa, but after the stage of relative stability of the Arab and Islamic presence, it took new paths in imagination, images and structures, as well as poetic formulation, and later the emergence of the art of the muwashshah. And all of this was a reason for creativity for the Andalusian poet, who was greatly influenced by the Andalusian environment, and the potentials of poetic creativity erupted in him among a group of poets. Or unconsciously, with a very similar poetic pattern, and they formed a poetic approach that we can call the so-called Andalusian poetic school, which continued to supply the poetic heritage to the end of the Arab presence in Andalusia.

المقدمة:

الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

فقد تناول البحث قضية مهمة من قضايا الأدب والنقد العربي التي مثلت جانبا من جوانب التراث العربي الذي امتد على ارض الأندلس لثمانية قرون بداء من دخول أول الفاتحين 92هـ الى سنة 898هـ نشر خلالها الفاتحون الونا من الفنون والآداب والعلوم والقيم والأخلاق وضربوا بذلك مثلا رائعا للبطولة والفداء ونشر الدين في أرض كانت تعج بالظلام والعبودية والجور وأخرجوهم الى نور الإسلام والهداية وعلى الرغم من التناحر الذي حل في تلك البقاع بسبب حب الدنيا والملذات الإ أن هناك فترات امتازت بالعزة والمنعة ولذا راح العرب الأوائل ينشرون مبادئ الدين الحنيف في الأندلس فضلا عن العلوم والآداب ودواوين الشعر العربي ، فنشأ الشعر بداية مقلدا لخطى المشارقة والسير على نظمهم الى حقب زمنية طويلة حتى تبلورت الشخصية الأندلسية وأخذت جانب الإبداع والأصالة ، ومن هنا انبثق موضوع البحث ليسلط الضوء على هذه المدرسة التي بدأت من عصر الطوائف ونضجت معلمها ي عصر المرابطين والموحدين على يد شاعر فذ ألا وهو ابن خفاجة الشاعر الذي هضم التراث الشعري المشرقي ووضعه في بوتقته ليوجد بعد ذلك شعرا في من الجدة والأصالة الشيء الكثير، ومن هنا ركز البحث على ثلاثة شعراء شكلوا نواة لمدرسة شعرية لها ملامحها وخصائصها التي ارتبطت بالشخصية الأندلسية.

مشكلة البحث:

تعرض البحث الى إثبات مصطلح المدرسة عند شعراء الأندلس بعد اتهامهم للشاعر الأندلسي بأنه مقلد للشعر المشرقي

أسئلة البحث:

1- هل ان الأندلسيين لهم هويتهم الشعرية المستقلة عن المشارقة؟

2- هل هناك معايير انحاز بها الشعر الأندلسي ليكون مدرسة مستقلة؟

أهداف البحث:

- يهدف البحث الى إثبات أصالة الشعر الأندلسي وأنه يمتلك من الجدة والأصالة ما جعله شعرا يبتعد عن التقليد والمحاكاة
- ظهر لهذا الشعر شعراء كبار جعلتهم يتميزون عن شعراء المشرق

أهمية البحث

أين تكمن أهمية البحث ... توضيح أهمية البحث في الحقل المعني ...

تكمن أهمية البحث بأنه يهيئ للباحثين في الشأن الأندلسي أرضية صلبة في البحث الأكاديمي للانطلاق الى آفاق رحبة للبحث في أصالة الشعر الأندلسي

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي

الكلمات المفتاحية: المدرسة – الأندلس – الشعر – الأصالة – الجديد

التمهيد

المدرسة في اللغة والاصطلاح:

1- المدرسة لغة :

(الدَّرْس) الطَّرِيق الْخَفي والخلق الْبَالِي من الثِّيَاب وَغَيرهَا والجرب وذنب الْبَعِير والمقدار من الْعلم يدرس فِي وَقت مَا (الْمدرسَة) مَكَان الدَّرْس والتعليم وَجَمَاعَة من الفلاسفة أَو المفكرين أَو الباحثين تعتنق مذهبا معينا أَو تَقول بِرَأْي مُشْتَرك وَيُقَال هُوَ من مدرسة فلَان على رَأْيه ومذهب[1]

2- المدرسة في الاصطلاح:

يقترب المعنى الاصطلاحي من المعنى اللغوي كثيرا فهذا اللفظ يدل على المذهب أو الطريقة التي ينتهجها مجموعة من الشعراء أو الكتاب أو العلماء في أي موضوع كان يتشابهون في بعض أفكارهم وآرائهم وتوجهاتهم ، فنقول مدرسة البصرة النحوية أو مدرسة الكوفة، أو المدرسة البلاغية الخ...

ولعل مفهوم المدرسة الشعرية يبقى عائما لكثرة الأغراض والفنون الشعرية بين شاعر وآخر ، لكن نستطيع أن نحدد بعض الملامح التي تجمع بين مجموعة من شعراء الأندلس وتشابه النتاج الشعري عندهم من خلال رؤية نقدية فاحصة لأساليبهم الشعرية.

ومن أوائل الشعراء الين يمكن أن نلمس عندهم نضج المنهج والطريقة الشعرية المميزة ابن خفاجة، فهو يولد معانيه من رصيد ثقافي ضخم معتمدا على الموروث الشعري الأندلسي والمشرقي في استقصاء بعض معانيه وأخيلته، فضلا عن تأثره بالبيئة ذات الطبيعة الساحرة الملهمة التي سلبت الشعراء ألبابهم بمباهجها وفتنتها ، ساعده في ذلك عقلية فذة متوقدة، والحقيقة أن أي شاعر لا يكون مبدعا إلا إذا جعل تراث أسلافه متكأ يرتكز عليها في توليد أفكاره ، على الرغم من اتهامه بالتقليد وتكرار المعنى ، فكل الشعراء تطرقوا للطبيعة وصوروها بألوان زاهية غبر ان ابن خفاجة أ خذ المعاني المطروحة وكساها حللا

[1] لسان العرب/ مادة:(دَرَسَ).

جديدة من ابتكاره ، فلا يجد المتلقي أو السامع بدا من سماعها وكأنه لم يسمعها من قبل ، وهذا إبداع بحد ذاته ،(لأن الإبداع إنما يكون في الصياغة ، وانه يقوم على [1] الفطنة، والذكاء ، والمهارة في الإلمام بالمعنى وإعادة صياغته)[2] ،(والابتكار الأدبي لن يكون انفصالا تاما عن الواقع الملموس ، وإلا استنكره المتأدبون وثارت عليه الثوائر)[3] مما جعلهم يرون فيها جنة الخلد:

ما جَنَّةُ الخُلدِ إلّا في دِيارِكُمُ وَلَو تَخَيَّرتُ هَذا كُنتُ أَختارُ

لاتَختَشوا بَعدَ ذا أَن تَدخُلوا سَقراً فَلَيسَ تُدخَلُ بَعدَ الجَنَّةِ النار[4]

ويمكن ان نتناول بعضا من الفنون الشعرية التي يمكن ان نتكأ عليها لتحديد النهج او الطريقة التي سارت عليها المدرسة الاندلسية ، ومنها فن الوصف الذي رأى فيه النقاد ان كل الاغراض الشعرية راجعة اليه[5]، الطبيعة الاندلسية بجبالها الخضراء وسهولها الجميلة، وتغريد طيورها على أفنان أشجارها ...كل ذلك له أثره في جمال الأندلس التي شغفت بها القلوب وهامت بها النفوس. ومن هنا نجد تَعَلُّق الأندلسيين بها، يسرحون النظر في خمائلها، وأخذ الشعراء والكتاب ينظمون درراً في وصف رياضها ومباهج جنانها.

وقد حبا الله الأندلس بطبيعة ساحرة، كانت مرتعاً خصباً ينهل منه الشعراء صورهم ومعانيهم وأخيلتهم الزاخرة بالجمال، فتؤطر رؤاهم، وتفتن إحساسهم المفعم بالحياة، وذلك بما تحويه من حسنٍ بهيٍّ جسّدته الجبال بمروجها الخضراء ، وأنهارها الكثيرة ، وأشجارها، ونسائمها الطيبة . فضلاً عن ذلك، فإنّ طبيعة التكوين النفسي للأندلسيين وشدّة تعلّقهم ببلادهم, وافتتانهم ببيئتهم، ساعد على نموّ شعر الطبيعة، بل أصبح سمة يتّصف بها الشعر الأندلسي، ويتفوّق بها على المشرقيّ، فكان من الطبيعي أن يزدهر وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي, لخصب المجال ووفرته وتعلّق أهله به, خصوصاً أيام استقرارهم النفسي والسياسي[6]

وقد كان من أثر جمال الأندلس أن شغفت بها القلوب وهامت بها النفوس ، فتعلق بها الأندلسيون جميعاً، وأقبلوا يسرّحون النظر في خمائلها ويستمتعون بمفاتنها ما شاء لهم الاستمتاع، وأخذ الشعراء والكتاب ينظمون كلمهم درراً في وصف رياضها ومباهج جنانها

---

[1] (المعجم الوسيط- باب الدال)
[2] مفهوم الابداع في النقد العربي، محمد طه عصر ، عالم الكتب ، القاهرة : ط1: 2000
[3] الادب الاندلسي بين التأثير والتأثر، د. محمد رجب البيومي ، مكتبة الدار العربية للكتاب ط1: 2008 17:
[4] ديوان ابن خفاجة ، تفيق سيد غازي ، منشأة المعارف ، الاسكندرية، ط2، 364
[5] ينظر : العمدة في صناعة الشعر ونقده الحسن بن رشيق القيرواني،،مكتبة الخانجي، مصر،2000م:،2: 294
[6] الشعر الأندلسي في القرن الثامن الهجري (موضوعاته وخصائصه) قاسم الحسيني, ص224

بعد أن فتحت في نفوسهم قول الشعر وجعلتهم يروونه فيها ، فنجدهم خاضوا في توظيف الطبيعة للتعبير عن لوحة كأنه يقف أمامها فنجد يقول[1]:

للهِهِ نَهرٌ سالَ في بَطحاءِ	أشهى وُروداً مِن لِمى الحَسناءِ
أمُتَعَطِّفٌ مِثلَ السِوارِ كَأَنَّهُ	وَالزَهرُ يَكنُفُهُ مَجَرُّ سَماءِ
قَد رَقَّ حَتّى ظُنَّ قُرصاً مُفرَغاً	مِن فَضَّةٍ في بُردَةٍ خَضراءِ
وَغَدَت تَحُفُّ بِهِ الغُصونُ كَأَنَّها	هُدبٌ يَحُفُّ بِمُقلَةٍ زَرقاء
وَالريحُ تَعبَثُ بِالغُصونِ وَقَد جَرى	ذَهَبُ الأَصيلِ عَلى لُجَينِ الماءِ[2]

فالشاعر استطاع توظيفا الطبيعة في الأخيلة والصور ثم اتخاذ الطبيعة موضوعاً للقصيدة ، ومن الشعراء الذين اقتفوا نهج اب خفاجة في وصفهم للأنهار والغدران، قول ابن الزقاق البلنسي

نُشِرَ الوردُ في الغدير وقد در	رَجَهُ بـالهـبوب نـشْرُ الريـا
مـثـل درع الكميّ مزَّقها الطعنُ	فـسـالتْ بـهِ دمـاءُ الجـراح[3]

فالشاعر يصف غديرا تتبعثر في أرجائه أوراقا حمرا فيوحي النظر له بصورة درع ممزق تصبغه دماء الجراح والجديد فيه إضافة نزف الجرح وصبغة النجيع[4]، وأثارت الظلال المنسرحة على صفحة النهر اهتماما خاصا لدى الرصافي البلنسي فأبدع في تصويرها حتى غدا محكا لشاعريتهم وقوة مخيلتهم يضيف شيئا الى صورة النهر وهو تشبيه الظل بالصدأ، يقول:

وَمُهَدَّلِ الشَطَّينِ تَحسَبُ أَنَّهُ	مُتَسَيِّلٌ مِن دُرَّةٍ لِصَفائِهِ
فاءَت عَلَيهِ مَعَ الهَجيرَةِ سَرحَةٌ	صَدِئَت لِفَيئَتِها صَفيحَةُ مائِهِ
فَتَراهُ أَزرَقَ في غُلالَةِ سُمرَةٍ	كَالدارِعِ اِستَلقى بِظِلِّ لِوائِهِ[4]

واذا ما جئنا الى وصف الطبيعة في الشعر الاندلسي الذي امتاز بمزج المادي بالإحساس الوجداني، اي المزج بين ((الوصف الوجداني والمادي ((، الذي يعد تطوراً ملحوظاً في هذا الغرض الذي ابدع فيه الشاعر الأندلسي دون سواه، وهذا التطور والابتداع لم يأت من فراغ مطلقاً بل نبتت جذوره وأصوله في المشرق العربي وترعرع وازدهر في الأندلس، فكانت المقدمات مشرقة والنتائج أندلسية، اذ ان الجديد هو انعكاس للبيئة الجديدة وتفاعل معها .لقد أبدع شعراء الأندلس في موضوع الطبيعة فكانت القصيدة الخالصة في وصف الطبيعة والقصيدة الممزوجة بأغراض آخر، والقصيدة الطويلة والمقطعات، التي يرى الدكتور إحسان عباس ان هذه المقطعات القصيرة التي نظموها في وصف صنوف الأزهار

---

(1) ديوان ابن خفاجة:356

(2) ديوان ابن الزقاق البلنسي ، تحقيق عفيفة الديراني ، دار الثقافة بيروت – لبنان :131

(3) الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الاندلس، محمد مجيد السعيد: 132

(4) ديوان الرصافي البلنسي ::26

فبعضها يمثل (بطائف المهاداة بين الأصدقاء، وليس لديهم من غاية فيها سوى طلب الصورة المبتكرة[1] (لقد كان للطبيعة الأندلسية الساحرة أثرها الكبير في خصب عقولهم ورفاهية حسهم ورقة تصوير هم وسعة خيالهم، فهذا الشاعر الكبير ابن خفاجة الذي كان مدرسة خاصة في وصف الطبيعة سار على منوالها من جاء بعده وتأثر فيها الكثير من معاصريه، يصف الأندلس وطبيعتها بقوله جاعلاً منها بعد[2]

وصف النهر من أشهر قصائد ابن خفاجة، الّتي تدخل. نشاهد إبداع الشاعر في وصف هذا النهر والوادي الّذي يحيطه بواسطة هذه التشبيهات. ولعلّ إجادة الشاعر في وصف هذا النهر هي الّتي جعلت مصطفى الشعكة يقول: «وقد رسم ابن خفاجة هذه الصورة الشهيرة الرقيقة الأنيقة للنهر فيبدع ويرق وكأنما يكتب أبياتاً غزلية في محبوب« [3] -ينظر الشاعر إلى النهر من مكان مرتفع، فيبرز له هذا النهر الجاري في الوادي، من بعيد باللون الأسمر لشدة عمقه. وفي البيت الثاني إشارة إلى اللون الأبيض للمجرة والنجوم الّتي حولها للتعبير عن الأزهار البيضاء حول النهر. وفي البيت الثالث يستفيد الشاعر من اللون الفضي للتعبير عن لون الماء ومن اللون الأخضر للتعبير عن لون الأعشاب والنباتات المحيطة بالنهر. وفي البيت الرابع يستعمل اللون الأزرق للتعبير عن لون الماء والمقلة. وفي الواقع شبه الغصون بشعر الأجفان لأنّ لون كليهما غامق أو أسود .وفي البيت الخامس يستخدم اللون الأصفر في وصف الخمر. وفي البيت الأخير يستفيد من اللون الذهبي واللون الفضي لترسيم اصطدام أشعة الشمس الذّهبية على الماء الفضي.

وقد أراد الشاعر أن يبرز قيمة ذلك النهر من خلال تشبيهه بأثمن الأشياء، بالفضة والذهب. «وتنتمي هذه القصيدة إلى فن الوصف النقلي لأنّ طرفي التشبيه هما ماديان، أي أنّ الوصف يتصدى فيه لمظهر خارجي حسي » [4].فنشاهد أن الشاعر استفاد من سبعة ألوان في نظم هذه الأبيات الستة، وجعل الألوان المختلفة جنباً إلى جنب لترسيم اللوحة الخلّابة. فلهذا نرى أنّ مثل هذه القصيدة تليق أن تسمى باللونيات، كالخمريات والطرديات والزهديات.[5]وصف الليلة من المواضع الّتي ركّز الشاعر فيها على استخدام اللون في ديوانه هي قصيدته الّتي نظم ها في وصف ليلة ثلجية اختلط فيها اللون الأسود لليل باللون الأبيض للثلج. واللون الأسود جزء لا يتجزأ من الليل وصفة ثابتة له. وهو وصف يبعث

---

(1) تاريخ الادب الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، احسان عباس ، 197

(2) التجديد في الشعر الأندلسي قراءة في نماذج مختارة، خالد عبد الكاظم عذاري، جامعة البصرة ،كلية التربية للعلوم الانسانية، قسم اللغة العربية مجلة ابحاث جامعة البصرة للعلوم الانسانية – العدد 4ب- مجلد 44- 201

(3) مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، ص ٣١٢ .

(4) فن الوصف ، ايليا حاوي ، و يوسف عيد، دفاتر أندلسية ٨٤٢

(5) لونيات ابن خفاجة الاندلسي، زهراء زارع خفر، الدكتور صادق عس ريك ، الدكتورة محترم عس ري، مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد التاسع، ربيع م٢٠١٢ش/.١٣٩١ ه

الخوف والرعب، كما هو مظهر الراحة والنوم والفراغ .وكثير من الشعراء تعرضوا لليل ووصفوه بالأسود قديما وحديثاً. وقد وصف ابن خفاجة ليلة ثلجية بقوله:

أَلا قـــــــــــــلَصت ذَيلَها لَيلَةٌ تَجُرُّ الرَبابُ بِـــــــــــــــــــــــها هَيدَبا

وَقَد بَرقَعَ الثَلجُ وَجـــــــــهَ الثَرى وَأَلحَفَ غُصـــــــــــــــــنَ النَقا فَاحتَبى

فَشابَت وَراءَ قِنـــــــــــــاعِ الظَلامِ نُواصي الغُصـــــــــــــــونِ وَهامُ الرُبى

يا رُبَّ لَيـــــــــــــــــــــــــــلٍ بِتُّهُ وَكَأَنَّهُ مِن وَحفِ شـــــــــــــَعرِك

تَنهَلُّ مُزنَةُ دَمـــــــــــــــــــــــــــعَتي فيـــــــــــــــــــــهِ وَيَندى نَورُ ذِكرِك

أَتبَعتُ فيهِ وَقَد بَكيـــــــــــــــــــــتُ عَقيـــــــــــــــــــــــــقَ خَدِّكَ دُرَّ ثَغرِك

وَشَرَقتُ فيكِ بِـــــــــــــــــعَبرَةٍ قَد وَرَّدَتـــــــــــــــــــــــــــها نارُ هَجرِك

فَكَأَنَّما يَـــــــــــــــــــنفَضَّ عَن حَبَبٍ لَها رُمّانُ صـــــــــــــــــــــــــدرِك

وَلَرُبَّ لَيلٍ قَد صَدَعتُ ظَلامَـــــــــــــــــــــــــــهُ بِجَبينِ بَدرِك[1]

وفي غزل ابن خفاجة تمتزج أوصاف الحبيب بأوصاف الطبيعة وصورها فتتداخل الأوصاف فلاندري ايتغزل الشاعر أم يصف ، وكان ذلك بفعل استحواذ الطبيعة بسحرها وجمالها على خيال الشاعر ورؤياه[2] يقول : فالشاعر يستعير تشبيهاته وصوره وأخيلته من الطبيعة ، فهي المعين الذي لا ينضب لخياله واللبنة التي يشكل منها حبيبته وتشخيصها بألوان الطبيعة الزاهية ، وبث الروح والحركة والاحساس فيها وهو اتجاه ساد في الشعر الاندلسي بعد ابن خفاجة على الرغم من إن هذا الاتجاه كان موجودا قبله لكن ابن خفاجة امعن كثيرا في الاتجاه مما جعل الشعراء بعده يسلكون هذا الاتجاه ومنهم ابن الزقاق البلنسي ، يقول :

أرضٌ منَمْنَمَةٌ وظِلٌّ سَجْسَجُ وصَباً بأنفاسِ الرُّبى تتأرَّجُ

ومذانبٌ زُرْقُ النطافِ تَرفُّ في وَجناتهنَّ شقائقٌ وبنفـــــــــــــسج

فالماءُ مصقولُ الأديمِ مُفَضَّضٌ والروضُ مطلولُ النسيمِ مُدَبَّجُ

---

[1] ديوان ابن خفاجة: 262

[2] (الشعر في عهد المرابطين ص158)

صيغَتْ أزاهِرُهُ دنانيراً بـــــــــــــها فترى دنانيرَ النُّضار تُبَهْرَج

قُمْ نَصْطَبِحْها والنجومُ جوانحٌ والصبحُ في أعقابها مُتَبَلِّج
حمراءَ صافيةً كأنَّ شعاعَها ضَرَمٌ بأيدي القابسين يُؤَجَّج[1]

و تكثر في غزله مثل هذه الصور الطريفة من مثل قوله في وصف دقة الخصر:

أُسائلُها اين الوشاح وقد اتت معطلة منهُ معطرة النشر
فقالت وأومأت للسّوار نقلته إلى معصمى لما تقلقل في خصري[2]

وقوله:

وقفت على الربوع ولى حنين لساكنهنّ ليس الى الربوع

ولو أنى حننت إلى مغاني أحبائي حننتُ الى الضلوع[3]

والتعبير عن نحول الخصر بنقل السوار إليه تعبير طريف، و بالمثل تعبيره عن أضلاعه بأنها غدت معاهد و ربوعا لمحبوباته، و تصويره لما جال في نفس صاحبته من خوف بل من ذعر حين أخذت تتفلّت في الأفق تباشير الصباح، و يعجب لفزع صباح إنسي من صباح كوني. ، أن ابن الزقاق يتناول في أشعاره الصور و الأخيلة التي تداولها الشعراء قبله مرارا و تكرارا حتى غدت كالثوب الخلق البالي، فإذا هو يبثّ فيها حياة و حيوية فتصبح جديدة نضرة مغربا في ذلك أحسن إغراب و أطرفه، على نحو ما يتضح في تلك الأبيات، فقد أخذ عن الشعراء استعارة الشمس لصاحبته في البهاء و الجمال، و أضاف إليها أنها شمس لا تغرب، إذ ما تنى طالعة في خدرها مشرقة، و يناشد نسيم الصبا أين مستقر صاحبته؟ و يذكر أن شذاها يفوح لا من حولها فحسب، كما يقول الشعراء، بل في النسيم ذاته بدليل أنفاسه المحملة بأريج هذا الشذى، و يقول:

مجلة دراسات العلوم الاسلامية

---

[1] ديوان ابن الزقاق البلنسي :115- 116
[2] ديوان ابن الزقاق: 131
[3] المصدر نفسه:198

سلِ الريحَ عن نجدٍ تخبّرك أنها مُعطرةُ الأنفاس مذْ سكنتْ نجدا

وأنَّ الغَضا والسِّدر مذ جاورتهما لطيب شذاها أَشبها الغارَ والرِّندا[1]

فالنهج في هذه الابيات وغيرها بين ابن خفاجة وإبن الزقاق نهجا واحدا اذ امتزجت الابيات الشعرية بوصف الطبيعة، وإن اختلفت الاغراض الشعرية ، فلا نرى غرضا مستقلا في الشعر الاندلسي مالم يمتزج بوصف هذه الطبيعة؛ ولذلك امتدت هذا النزعة الى عصر الموحدين وتزعمها الرصافي البلنسي (ت573هـ) ، يقول:

أدرها فالغمامةُ قد أجالت سيوف البرق في لمم البطاح

وراقَ الروضُ طاووساً بها تهبُّ علبه أنفاسُ الرّياح

تَقول وقد ثنّى قزح عليه ثياب الغيم معلمة النواحي[2]

كذلك ورد عند شعراء هذه المدرسة ذكر الاماكن المشرقية التي شكلت نسقا شعريا ورمزا وايماء للحنين الى تلك الاماكن (وهي لاتخلو من شفافية الحنين الآسي الى ذكريات عزيزة عاشها الشاعر فيما مضى[3] :

قُل لِمَسرى الريحِ مِن أضم وَلَيالينا بِذي سَلَمِ

طالَ لَيلي في هَوى قَمَـــــــرٍ نامَ عَن لَيلي وَلَم أَنَمِ

طالَ لَيلي في هَوى قَمَـــــــرٍ نامَ عَن لَيلي وَلَم أَنَمِ

وَأَبي حَيّـــــــــاهُ مِن رشـــــــا مُستَطابِ اللَثمِ وَالشِيَمِ

لَتـــــــــــــــساوى ما بنظرته وَبِجِسمِيَ فيهِ مِن سَقَمِ

لامَسَحتُ الجَفنَ مِن سَهَرٍ وَوَقَيتُ القَلبَ مِن أَلَمِ[4]

واستعملها ابن الزقاق في شعره كثيرا جريا على عادة الشعراء في الحنين الى الاماكن المشرقية التي تمثل ارتباط العربي بتلك البقاع التي تمثل البؤرة التي انطلق منها شعاع الايمان ليملأ مشارق الارض ومغاربها بهذه الشعلة النورانية ، اذ يقول:

ذَرْني ونجداً لا حملتُ نجادي إن لم أَخُطَّ صعيدَهُ بِصِعاد

وأُخَضْخِضَنَّ حشا الظلامِ إلى الدُّمى وَأُصَافِحنَّ سوالفَ الأجياد

حيثُ العبيرُ وشى تأرُّجُه على مَسْرَى الظباءِ ومَسْرَحِ الأبراد

ولقد مررتُ على الكثيبِ فأرْزَمَتْ إبلي ورجَّعتِ الصهيلَ جيادي

ما بينَ ساحاتٍ لهمْ ومعاهدٍ سُقِيَتْ من العَبَراتِ صَوْبَ عِهاد

ضَرَبُوا ببطنِ الواديَيْنِ قِبابَهُمْ بينَ الصوارمِ والقنا المنآد

والورقُ تهتفُ حولهمْ طرَباً بهمْ فبكلِّ مَحْنِيَّةٍ ترنمُ شادي[5]

---

(1) المصدر نفسه : 133

(2) ديوان الرصافي البلنسي :52

(3) الادب في عصر الطوائف والمرابطين ، احسان عباس:116)

(4) ديوان الرصافي البلنسي :

(5) ديوان ابن الزقاق : 144

أما الرصافي البلنسي فقد جاء ذكرها في اشعاره سيرا على عادة الشعراء في الحنين الى تلك المعاهد والديار ، يقول:

سَقى العَهدَ مِن نَجدٍ معاهدَه بِما يغارُ عَلَيها الدَمعُ أَن تَشرَبَ القَطرا
فَيا غَينَةَ الجَرعاءِ ما حالَ بَينَنا سِوى الدَهرِ شَيءٌ فَارجِعي نَشتَكي الدَهرا
تَقَضَّت حَياةُ العَيشِ إلا حُشاشَةً سِوى الدَهرِ شَيءٌ فَارجِعي نَشتَكي الدَهرا
وَكَم بِالنَقا مِن رَوضَةٍ مُرجَحِنَّةٍ تَضَمَّخُ أَنفاسُ الرِياحِ بِها نَشرا
وَمِن نُطفَةٍ زَرقاءَ تَلعَبُ بِالصَدى إِذا ما ثَنى ظلٌّ مُدارٌ بِها سُمرا
وَبَردُ نَسيمٍ أَنثَني عِندَ ذِكرِهِ عَلى زَفَراتٍ تَصدَعُ الكَبدَ الحَرّى
وَإِن لباناتٍ تَضَمَّنَها الحَشا قَليلٌ لَدَيها أَن نَضيقَ بِها صَدرا[1]

والغزل بالمذكر أو مايسمى بالغزل الشاذ فقد ورد عند الكثير من شعراء الاندلس جريا على عادة التقليد واظهار الشاعرية وكان اول من تغزل بالغلمان الشاعر العباسي ابو نؤاس ، وعند هذا الشاعر يمثل لونا من الوان المجون ، وهذا الاتجاه ساد عند الكثير من شعراء الاندلس ، ومنهم ابن خفاجة ، يقول [2]:

هَل ساءَهُ أَن آلَ آساً وَردُه وَتَعَطَّلَت مَن فيهِ كَأسٌ تُشرَب
فَكَأَنَّ صَفحَتَهُ وَنَدَّ عِذارِه ماءٌ يَثورُ بِصَفحَتَيهِ طِحلِبُ(3)

فالشاعر استوحى صوره وتشبيهاته من الطبيعة الزاهية حوله والتي كانت ملهمة لألباب الشعراء وعمقت فيه الإحساس بالجمال ، كذلك نراه في لوحة اخرى يجمع بين وصف العذار والخيلان في إطار من الفاظ الطبيعة يقول:

أَلَم يُسَقِّيَني سُلافَةَ ريقِهِ وَطَوراً يُحَيّني بِآسِ عِذارِ
فَنِلتُ مُرادَ النَفسِ مِن أُقحُوانَةٍ شَمَمتُ عَلَيها نَفحَةً لِعَرارِ
وَوَجهٍ تَخالُ الخالَ في صَحنِ خَدِّهِ فُتاتَةَ مِسكٍ فَوقَ جُذوَةِ نارِ[4]

---

[1] ديوان الرصافي البلنسي
[2] ديوان ابن خفاجة: 190
[3] المصدر نفسه: 110
[4] الشعر في عهد المرابطين والموحدين: 189

أما قصائد ابن الزقاق في الغزل فتحتفل كثيرا بعاطفة الحب والوجد والصبابة ، فقد كان له الكثير من العشاق ذكر بعض اساؤهم في قصائده كابن القرشي ومحمد ، وابي الجميل ، وابي الوليد ، مما يصرف غزله الى حقيقته ولا بدع فرصة لتعليله بالمودة والصداقة يقول :

وأَحْوى رَمى عَنْ قِسِّيِّ الحَوَرْ سِهاماً يُفَوِّقُهُنَّ النظرْ
يقولون وَجْنَتُهُ قُسِّمتْ فرسمُ محاسِنِهِ قد دُثِر
ما شقَّ وجنتَه عابثٌ ولكنّها آيةٌ للبشر
جلاها لنا اللهُ كيما نرى بها كيفَ كان انْشِقاقُ القمر[1]

فالأبيات تتكأ على عناصر الطبيعة ومشاهدها وألفاظها، يشكو فيها تذلله لمحبوبه مع حسن التعليل وطرافة التوليد[2] ، وهذه الابيات نالت اعجاب الادباء والنقاد يقول محمد مجيد السعيد(فمما اغرب فيه وعلل بما اقنع أبيات في غلام جرح في خده[3]

اما الغزل عند الرصافي البلنسي فهو لا يختلف كثيرا عما جاء به سابقيه على الرغم من التفوق الذي جاء في غزله وهذا الغزل لم ينتج عن نفسية ماجنة لما عرف عنه من نفسية عفيفة مؤمنة ، يقول:

قالوا وَقَد أَكثَروا في حَبِّهِ عَذَلي لَو لَم تَهِم بِمُذالِ القَدرِ مُبتَذَل
فَقُلتُ لَو أَنَّ أَمري في الصَبابَةِ لي لَاِختَرتُ ذاكَ وَلكِن لَيسَ ذلِكَ لي
في كُلِّ قَلبٍ غَريزاتٍ مُدلَّلَةٌ لِلحُسنِ وَالحُسنُ مَلكٌ حَيثُ حَلَّ وَلي
عُلِّقتُهُ حَبَبِيَّ الثَغرِ عاطِرَهُ أَلمى المُقَبَّلِ أَحوى ساحِرَ المُقَل
إِذا تَأَمَّلتَهُ أَعطاكَ مُلتَفِتاً ما شِئتَ مِن لَحَظاتِ الشادِنِ الغَزِلِ
هَيهاتِ أَبغي سِواهُ في الهَوى بَدَلاً أُخرى اللَيالي وَهَل في الحُبِّ مِن بَدَلِ
أَما يُعابُ عَلَيهِ شُغلُ راحَتِهِ مَن يُحسِنُ الفَرقَ بَينَ الحَلي وَالعَطَلِ[4]

مجلة دراسات العلوم الاسلامية

[1] ديوان ابن الزقاق: 179.
[2] الشعر في عهد المرابطين والموحدين:189:
[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[4] ديوان الرصافي البلنسي: 116.

ومثل الجبل في الشعر الاندلسي مكانة متميزة ليشكل نقطة تحول في أشعار الوصف الاندلسي بما خلع عليه الشعراء من أوصاف جعلته يحتل قدم السبق والتفوق على شعراء المشرق ، مما شكل نمطا ونهجا بل ومدرسة لها خصائصها وسماتها، ومن الشعراء الذين لمسنا عندهم ذلك الاتجاه ابن خفاجة ، اذ يقول:

وَأَرعَنَ طَمّاحِ الذُؤابَةِ باذِخٍ يُطاوِلُ أَعنانَ السَماءِ بِغارِبِ
يَسُدُّ مَهَبَّ الريحِ عَن كُلِّ وُجهَةٍ وَيَزحَمُ لَيلاً شُهبَهُ بِالمَناكِبِ
وَقورٍ عَلى ظَهرِ الفَلاةِ كَأَنَّهُ طِوالَ اللَيالي مُفَكِّرٌ في العَواقِبِ
يَلوثُ عَلَيهِ الغَيمُ سودَ عَمائِمٍ لَها مِن وَميضِ البَرقِ حُمرُ ذَوائِبِ
أَصَختُ إِلَيهِ وَهوَ أَخرَسُ صامِتٌ فَحَدَّثَني لَيلُ السُرى بِالعَجائِبِ
وَقالَ أَلا كَم كُنتُ مَلجَأَ قاتِلٍ وَمَوطِنَ أَوّاهٍ تَبَتَّلَ تائِبِ[1]

اما الرصافي البلنسي، فينهج النهج نفسه في وصف الجبل فيزيد على وصف ابن خفاجة في ان الجبل عند الرصافي انسان بكثرة تجاربه يتسم بالحنكة والدهاء، يقول:

للهِ ما جبلُ الفتحينِ من جبلِ مُعَظَّمِ القَدْرِ في الأحْبالِ مَذْكُورِ
من شامخِ الأنْفِ في سَحْنائِهِ طَلَسٌ له من الغيمِ جيبٌ غيرُ مزورِ
مُعَبِّراً بذَرَاهُ عن ذَرَى مَلِكٍ مُسْتَمْطَرِ الكفِّ والأكْنافِ مَمْطور
تمسي النجومُ على إكليلِ مفرقِهِ في الجوِّ حائمةً مثلَ الدَّنانير
وأدردٍ من ثناياهُ بما أخذتْ منه معاجمُ أَعْوَادِ الدَّهاريرِ
محنكٌ حلبَ الأيامَ أشطُرهَا وساقها سوقَ حادي العيرِ للعيرِ
مُقَيَّدُ الخَطْوِ جَوَّالُ الخواطرِ في عجيبِ أَمْرَيْهِ من ماضٍ ومنظور
قد واصلَ الصمتَ والإطراقَ مفتكراً بادي السكينةِ مُغْفَرِ الأساريرِ[2]

وهناك اغراض اخرى تندرج تحت هذه المدرسة وهي الرثاء ولاسيما رثاء الدن والممالك الاندلسية ، وكذلك شعر الاستسراخ والاستنجاد والذي لايسع الوقت للخوض فيه مما يوسع دائرة المدرسة ليندرج تحتها شعراء اخرين .

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة مع مصطلح المدرسة الشعرية الأندلسية ي والتي وجدنا فيها الشاعر الأندلسي قد استقل شيئا فشيئا عن سطوة الشاعر المشرقي ونای بنفسه بعيدا عن هذا الاسرالفني لما هو مشرقي توصلنا الى النتائج الآتية:

---

[1] ديوان ابن خفاجة: 215
[2] ديوان الرصافي البلنسي

الفرار من الواقع لكثرة الفتن والاضطرابات ، واللجوء للطبيعة ومناجاتها والتفاعل معها واستشراف عالم مثالي.

تمتاز الافكار لدى شعرائها بالأصالة والتجديد والتحليق في عالم الخيال والعمق الوجداني.
ظهور ذاتية الشاعر.
يجنح الشاعر إلى الخيال إلى حد بعيد فالشعر عندهم لغة العاطفة والوجدان والخيال المحلق وخيالهم الجزئي فيه ابداع وطرافه.
تمتاز هذه المدرسة بالصور الشعرية الممتدة.
التعبير يمتاز بالظلال والايحاء ولفظه حيه نابضه فيها رقه وعذوبه

الوحدة العضوية بارزة في القصيدة، حيث تسود وحدة المقطع لا وحدة البيت ووحدة الجو النفسي للقصيدة متناسقة مع مواقفها.

هوامش البحث ومصادره

أولاً/المصادر والمراجع:

1. **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ,.مصطفى الشكعة, بيروت., دار العلم للملايين., 2008.**
2. **الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثر، د. محمد رجب البيومي ، مكتبة الدار العربية للكتاب ط1: 2008م.**
3. **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس; ، إحسان عباس ; دار النشر : دار الشروق للنشر والتوزيع ; 1997م**
4. **ديوان ابن خفاجة ، تفيق سيد غازي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية، ط2،د.ت.**
5. **ديوان الرصافي البلنسي، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة – بيروت : 1983**
6. **ديوان ابن الزقاق البلنسي، تحقيق عفيفة الديراني، دار الثقافة بيروت – لبنان**
7. **الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ; محمد مجيد السعيد ; دار النشر: منشورات وزارة الثقافة والإعلام ; سنة النشر1980 .**
8. **الشعر الأندلسي في القرن الثامن الهجري (موضوعاته وخصائصه) قاسم الحسيني,**
9. **فن الوصف ، إيليا حاوي ، دار الشروق –بيروت، لبنان.**
10. **مفهوم الإبداع في النقد العربي، محمد طه عصر ، عالم الكتب ، القاهرة : ط1: 2000.**
11. **العمدة في صناعة الشعر ونقده ، الحسن بن رشيق القيرواني،،مكتبة الخانجي، مصر،2000م.**
12. **لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان.**
13. **المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار (مجمع اللغة العربية -- القاهرة ط4: 2004م ،دار الدعوة.**

ثانيًا/المجلات والدوريات:

1. لونيات ابن خفاجة الأندلسي، زهراء زارع خفر، وصادق عس ريك ، ومحترم عس ري، مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها ، فصلية محكمة، العدد التاسع، ربيع م٢٠١٢ش/١٣٩١ ه

مجلة دراسات العلوم الاسلامية